لانا مامورون بازالته بحسب الامكان فاذا قدرنا الكافر على كفره وخليناه وشانه ورضينا به كان كفرا في حقنا لمخالفتنا
ما امرنا به واما من ليس مامورا كامرنا ولا مكلفا كتكليفنا بل يفعل ما يامره به ربه فاذا انفذ ما امره به لم يكن رضى
بالكفر ولا يكون كفرا في حقه وعلى هذا التقدير فان جبريل دس الطين في فم فرعون كان ساخطا لكفره غير راض عنه والله
تعالى خالق افعال العباد خيرها وشرها وهو غير راض بالكفر فغاية امر جبريل مع فرعون ان يكون منفذا لقضا
الله وقدره في فرعون من الكفر وهو ساخط له غير راض به وقوله كيف يليق بجلال الله ان يامر جبريل بان يمنعه
من الايمان فجوابه ان الله يفعل ما يشا ويحكم ما يريد لا يسئل عما يفعل وقوله وان قيل ان جبريل انما فعل
ذلك من عند نفسه لا بامر الله فجوابه انما فعل ذلك بامر الله منفذا لامر الله والله اعلم بمراده قوله تعالى فاليوم
ننجيك معناه انا نلقيك على نجوة من الارض وهي المكان المرتفع قال اهل التفسير لما اغرق الله تعالى
فرعون وقومه اخبر موسى قومه بهلاك فرعون وقومه قالت بنوا اسرايل ما مات فرعون وانما قالوا
ذلك لعظمته عندهم وما حصل في قلوبهم من الرعب لاجله فامر الله عز وجل البحر فالقى فرعون على الساحل
احمر قصيرا كانه ثور فراه بنوا اسرايل فعرفوه فمن ذلك الوقت لا يقبل الما ميتا ابدا ومعنى قوله ببدنك
يعني نلقيك وانت جسد لا روح فيه وقيل هذا الخطاب على سبيل التهكم والاستهزا كانه قيل له ننجيك
ولكن هذه النجاة انما تحصل لبدنك لا لروحك وقيل المراد بالبدن الدرع وكان لفرعون درع من ذهب
مرصع بالجواهر يعرف به فلما راوه في درعه ذلك عرفوه لتكون لمن خلفك اية يعني عبرة وموعظة وذلك
انهم ادعوا ان مثل فرعون لا يموت ابدا لانه كان في غاية العظمة فصار الى نهاية الخسة والذلة
ملقى على الارض لا يهابه احد وان كثيرا من الناس عن اياتنا لغافلون ولقد بوانا بني اسرايل مبوا صدق
يعني اسكناهم مكان صدق وانزلناهم منزل صدق بعد خروجهم من البحر واغراق عدوهم فرعون والمعنى
انزلناهم منزلا محمودا صالحا وانما وصف المكان بالصدق لان عادة العرب اذا مدحت شيا اضافته
الى الصدق تقول العرب هذا رجل صدق وقدم صدق والسبب فيه ان الشي اذا كان كاملا صالحا لا بد
ان يصدق الظن فيه وفي المراد بالمكان قولان احدهما انه مصر فيكون المراد ان الله اورث بني اسرايل
جميع ما كان تحت ايدي فرعون وقومه من ناطق وصامت وزرع وغيره والقول الثاني انه ارض الشام
والقدس والاردن لانها بلاد الخصب والخير والبركة قوله تعالى ورزقناهم من الطيبات يعني تلك المنافع
والخيرات التي رزقهم الله تعالى فما اختلفوا حتى جاءهم العلم يعني فما اختلف الذين فعلنا بهم هذا الفعل من بني
اسرايل حتى جاءهم ما كانوا به عالمين وذلك انهم كانوا قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم مقرين به مجمعين
على نبوته غير مختلفين فيه لما يجدونه مكتوبا عندهم فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم اختلفوا فيه فامن
به بعضهم كعبد الله بن سلام وكفر به بعضهم بغيا وحسدا فعلى هذا المعنى يكون المراد من العلم المعلوم
والمعنى فما اختلفوا حتى جاءهم المعلوم الذي كانوا يعلمونه حقا فوضع العلم مكان المعلوم وقيل المراد من العلم
القران النازل على محمد صلى الله عليه وسلم وانما سماه علما لانه سبب العلم وتسمية المسبب بالسبب مجاز
مشهور وفي كون القران سببا لحدوث الاختلاف وجهان الاول ان اليهود كانوا يخبرون بمبعث محمد صلى الله عليه
وسلم [illegible] ويفتخرون بذلك على المشركين فلما بعث كذبوه بغيا وحسدا وايثارا لبقا الرياسة
لهم فامن به طايفة قليلة وكفر به غالبهم والوجه الثاني ان اليهود كانوا على دين واحد قبل نزول القران
فلما نزل على محمد صلى الله عليه وسلم امن به طايفة وكفر به اخرى وقوله عز وجل ان ربك يعني يا محمد يقضي
بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون يعني من امرك وامر نبوتك في الدنيا فيدخل من امن بك الجنة ومن

كفر بك وجحد نبوتك دخل النار قوله تعالى فان كنت في شك مما انزلنا اليك الشك في موضوع اللغة خلاف اليقين
والشك اعتدال النقيضين عند الانسان لوجود امارتين او لعدم الامارة والشك ضرب من الجهل وهو اخص
منه فكل شك جهل وليس كل جهل شكا فاذا قيل فلان يشك في هذا الامر فمعناه انه توقف فيه حتى يتبين له فيه
الصواب وخلافه وظاهر هذا الخطاب في قوله فان كنت في شك مما انزلنا اليك يعني من حقيقة ما اخبرناك به
وانزلناه يعني القران فاسال الذين يقرون الكتاب من قبلك يعني علما اهل الكتاب يخبروك انه مكتوب عندهم
في التوراة والانجيل وانك نبي معروف يعرفونك بصفتك عندهم وقد توجه ههنا سوال واعتراض وهو ان
يقال هل شك النبي صلى الله عليه وسلم فيما انزل اليه او في نبوته حتى يسال اهل الكتاب عن ذلك واذا كان
شاكا في نبوة نفسه كان غيره اولى منه بالشك قلت الجواب عن هذا السوال والاعتراض ما قاله القاضي عياض
في كتابه الشفا فانه اورد هذا السوال ثم قال احذر ثبت الله قلبك ان يخطر ببالك ما ذكره فيه بعض المفسرين
عن ابن عباس او غيره من اثبات شك النبي صلى الله عليه وسلم فيما اوحي اليه وانه من البشر فمثل هذا لا يجوز عليه
صلى الله عليه وسلم جملة بل قد قال ابن عباس لم يشك النبي صلى الله عليه وسلم ولم يسال ونحوه عن سعيد بن جبير
والحسن البصري وحكي عن قتادة قال بلغنا ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ما اشك ولا اسال وعامة المفسرين
على هذا انتهى كلام القاضي عياض رحمه الله ثم اختلفوا في معنى الاية ومن المخاطب بهذا الخطاب على قولين احدهما
ان الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم في الظاهر والمراد به غيره فهو كقوله لئن اشركت ليحبطن عملك ومعلوم ان
النبي صلى الله عليه وسلم لم يشرك فثبت ان المراد به غيره ومن امثلة العرب اياك اعني واسمعي يا جارة فعلى هذا يكون معنى
الاية قل يا محمد يا ايها الانسان الشاك ان كنت في شك مما انزلنا اليك على لسان رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم
فاسال الذين يقرون الكتاب يخبرونك بصحته ويدل على صحة هذا التاويل قوله تعالى في اخر السورة قل
يا ايها الناس ان كنتم في شك من ديني الاية فبين ان المذكور في هذه الاية على سبيل الرمز هم المذكورون في هذه
الاية على سبيل التصريح وايضا لو كان النبي صلى الله عليه وسلم شاكا في نبوته لكان غيره اولى بالشك في نبوته
وهذا يوجب سقوط الشريعة بالكلية معاذ الله من ذلك وقيل ان الله تعالى علم ان النبي صلى الله عليه وسلم
لم يشك قط فيكون المراد بهذا التهييج فانه صلى الله عليه وسلم اذا سمع هذا الكلام فانه يقول لا اشك يا رب
ولا اسال اهل الكتاب بل اكتفي بما انزلته علي من الدلايل الظاهرة وقال الزجاج ان الله تعالى خاطب الرسول صلى
الله عليه وسلم في قوله فان كنت في شك وهو شامل للخلق فهو كقوله يا ايها النبي اذا طلقتم النسا وهذا وجه حسن
لكن فيه بعد وهو ان يقال متى كان الرسول صلى الله عليه وسلم داخلا في هذا الخطاب كان الاعتراض
موجودا والسوال وارد وقيل ان لفظة ان في قوله فان كنت في شك للنفي ومعناه وما انت في شك مما انزلنا
اليك حتى تسال فلا تسال ولئن سالت لازددت يقينا والقول الثاني وهو ان يقال ان هذا الخطاب ليس
هو للنبي صلى الله عليه وسلم البتة ووجه هذا القول ان الناس كانوا في زمانه على ثلاث فرق فرقة له
مصدقون وبه مومنون وفرقة على الضد من ذلك والفرقة الثالثة المنافقون في امره الشاكون فيه
فخاطبهم الله عز وجل بهذا الخطاب فقال تعالى فان كنت في شك ايها الانسان مما انزلنا اليك من الهدى
على لسان محمد صلى الله عليه وسلم فاسال اهل الكتاب ليدلوك على صحة نبوته وانما وحد الله الضمير في قوله
فان كنت في شك وهو يريد الجمع لانه خطاب لجنس الانسان كما في قوله تعالى يا ايها الانسان ما غرك بربك
الكريم لم يرد في هذه الاية انسانا بعينه بل المراد الجمع اختلفوا في المسوول عنه في قوله تعالى فاسال الذين
يقرون الكتاب من قبلك من هم فقال المحققون من اهل التفسير هم الذين امنوا من اهل الكتاب كعبد الله

Copyright © King Saud University